

﴿وَمَنْ يَعْمَلْ سُوءًا أَوْ يَظْلِمْ نَفْسَهُ ثُمَّ يَسْتَغْفِرِ اللَّهَ يَجِدِ اللَّهَ غَفُورًا رَحِيمًا﴾ (١١٠)
[النساء: 110]

❁ مُنَاسَبَةُ الْآيَةِ لِمَا قَبْلَهَا:

الـمـخـرـجـ من
الذنوب بالتوبة
من كل سوء

لما نهى الله تعالى في الآية السابقة عن الجدال عن الخائن والانتصار له، وحذر من الوقوع فيه، وتمكّن الوعيد وقضت العقول بالألمجادل لله، ولا وكيل يقوم بأمر العصاة عنده؛ عقّب ذلك بهذه الآية التي تفتح باب العفو، وتحمل هذا الرجاء العظيم، ونبّههم إلى المخرج من الذنب بأن ندب إلى التوبة من كل سوء؛ ليدخل فيه الجدال عن الخائنين دخولاً أولياً⁽¹⁾.

❁ شَرْحُ الْمَفْرَدَاتِ:

(1) ﴿سُوءًا﴾: السُّوءُ نَعْتُ لِكُلِّ شَيْءٍ رَدِيٍّ أَوْ آفَةٍ أَوْ دَاءٍ، وَسَاءَ الشَّيْءُ: قَبِيحٌ؛ فَهُوَ سَيِّئٌ، وَرَجُلٌ أَسْوَأُ، أَيْ: قَبِيحٌ، وَامْرَأَةٌ سَوَاءٌ، أَيْ: قَبِيحَةٌ، وَلِذَلِكَ سُمِّيَتِ السَّيِّئَةُ سَيِّئَةً، وَسُمِّيَتِ النَّارُ: سُوءًا؛ لِقُبْحِ مَنَظَرِهَا، وَالسُّوءُ: مَا يَحْصُلُ لِلإِنْسَانِ مِنَ الْغَمِّ وَالْهَمِّ مِنْ أُمُورِ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ، وَمَا يَعْصُرُ لَهُ مِنَ الْأُمُورِ النَّفْسِيَّةِ كَفَقْدِ الْمَالِ وَالْجَاهِ وَغَيْرِهِ⁽²⁾، وَمَعْنَى السُّوءِ فِي الْآيَةِ: الذَّنْبُ أَوْ الْأَمْرُ الْقَبِيحُ، أَيْ: مَنْ يَعْمَلُ ذَنْبًا، أَوْ مَنْ يَعْمَلُ أَمْرًا قَبِيحًا يَسُوءُ بِهِ غَيْرَهُ⁽³⁾.

(2) ﴿يَظْلِمُ﴾: يَدُورُ مَعْنَى الظُّلْمِ فِي اللُّغَةِ عَلَى حَجَبٍ مَا يَنْبَغِي، أَوْ مَا يُسْتَحَقُّ بِمَنْعِهِ أَوْ انْتِقَاصِهِ، كَمَنْعِ الضَّوِّ فِي حَالَةِ الظُّلْمَةِ، وَكَمَنْعِ الْمَطَرِ عَنِ الْأَرْضِ الْمَظْلُومَةِ، فَهُوَ وَضْعُ الشَّيْءِ فِي غَيْرِ مَوْضِعِهِ

(1) البقاعي، نظم الدرر: 5/396.

(2) الخليل، العين، وابن فارس، مقاييس اللغة، والراغب، المفردات: (سَوَأٌ).

(3) ابن جرير، جامع البيان: 9/194.

المُختَصُّ به، إمَّا بِنُقْصَانٍ أو بزيادةٍ، وإمَّا بعدولٍ عن وقتهِ أو مكانه، ومن هذا يقال: ظَلَمْتُ السَّقَاءَ؛ إذا تناولته في غير وقتهِ، ويقال فيما يكثر وفيما يقلُّ من التَّجاوز، ولهذا يستعمل في الذَّنْبِ الكبير، وفي الذَّنْبِ الصَّغِير، ومعنى يظلم نفسه: أن يعدلَ عن الطَّاعةِ ويقترفَ الذُّنُوبَ التي يُفْضِبُ بها الله، ويستحقُّ بسببها عقابه⁽¹⁾.

(3) ﴿يَجِدُ﴾: يأتي الفعل وجدَ بمعنى: الإصابة، وبمعنى: العلم، أي: وجود الشيء على صفةٍ أو حال، أي: العلم بوجودها فيه، فهو بمعنى الشيء يُلفيه، وهو المقصودُ هنا، والمعنى المحوريُّ له: هو تحصيلُ شيءٍ ذي بالٍ في حَوْزَةٍ كانت خاليةً منه، كالمالِ والضالَّةِ، والتحقُّقُ عن عدم، أو العلمُ بأمرٍ ذي بالٍ على حالٍ أو صفةٍ لم يكن عالماً به⁽²⁾، ومعنى ﴿يَجِدُ﴾ في الآية "أي: يجدُ عنده المَغْفِرَةُ والرَّحْمَةُ، فجعلَ المَغْفِرَةَ كالموردِ يردُّه التَّائبُ المُسْتَغْفِرُ"⁽³⁾.

✽ المعنى الإجمالي:

مَنْ يعملُ عملاً سيئاً قبيحاً، أو يظلمَ نفسه بما يُوجبُ العقوبةَ من الله، ثمَّ يستغفرِ الله نادماً على ما عمل، راجياً مغفرته وسترَ ذنبه؛ يجدُ الله تعالى غفوراً لجميعِ ذنوبه رحيماً متفضلاً عليه.

الترغيب في
الاستغفار لمن
أساء إلى غيره أو
ظلم نفسه

✽ الإيضاح اللغوي والبلاغي:

نكتة التعبير باسم الشرط ﴿وَمَنْ﴾:

عبر بـ ﴿وَمَنْ﴾ لإفادة عموم الشرط، فليس الأمرُ مختصاً بأصحابِ الحادثة التي نزلت فيهم هذه الآيات، وهم ويدخلون في عموم الشرط دخولاً أولياً، وإذا كان الشرط على معنى العموم؛ كان الجزاء مثله يفيد العموم، والمعنى: استغراق الشرط كلَّ فردٍ

اسم الشرط
يفيد عموم
الشرط وعموم
الجزاء

(1) الأزهرى، تهذيب اللغة، والراغب، المفردات، وجبل، للعجم الاشتقاقي: (ظلم).

(2) ابن فارس، مقاييس اللغة، والراغب، المفردات، وجبل، للعجم الاشتقاقي: (وجد).

(3) ابن عادل، اللباب في علوم الكتاب: 7/11.

مَمَّنْ يَعْمَلُ سُوءًا، أَوْ يَظْلِمُ نَفْسَهُ، ثُمَّ يَسْتَغْفِرَ اللَّهَ، وَاسْتَغْفِرَ
وَجْدَانِ مَغْفِرَةَ اللَّهِ وَرَحْمَتَهُ وَتَعْمِيمِهِ لِكُلِّ فَرْدٍ مِنْ أَفْرَادِ الشَّرْطِ
مَمَّنْ تَحَقَّقَ بِالِاسْتِغْفَارِ.

بلاغة التعبير بأسلوب الشرط:

لَمَّا كَانَ الشَّرْطُ بِمَنْزِلَةِ السَّبَبِ لَوُقُوعِ الْجَزَاءِ، وَكَانَ الْجَزَاءُ
مَقْتَرَنًا بِوُقُوعِ الشَّرْطِ مِنْ غَيْرِ مَهْلَةٍ؛ دَلَّ الْكَلَامُ عَلَى اقْتِرَانِ مَغْفِرَةِ
اللَّهِ وَرَحْمَتِهِ بِحَصُولِ الْاسْتِغْفَارِ مِنْ عَمَلِ السُّوءِ أَوْ مِنْ ظَلَمِ النَّفْسِ
بِاقْتِرَافِ الْمَعْصِيَةِ، أَي: إِنَّ حَصُولَ مَغْفِرَةِ اللَّهِ تَعَالَى لِلتَّائِبِ وَرَحْمَتِهِ
بِهِ فِي وَقْتِ وَقُوعِ الْاسْتِغْفَارِ مِنْ عَمَلِ السُّوءِ أَوْ ظَلَمِ النَّفْسِ.

**نكتة العطف في قوله: ﴿وَمَنْ يَعْمَلْ سُوءًا أَوْ يَظْلِمْ نَفْسَهُ ثُمَّ يَسْتَغْفِرِ اللَّهَ
يَجِدِ اللَّهَ غَفُورًا رَحِيمًا﴾:**

لَمَّا كَانَ لَفْظُ ﴿سُوءًا﴾ نَكْرَةً، فَيَشْمَلُ كُلَّ قَبِيحٍ مِنَ الْمَعَاصِي
صَغِيرًا أَوْ كَبِيرًا مِمَّا يَتَعَدَّى إِلَى النَّاسِ، فَيُورِثُ الْهَمَّ وَالْغَمَّ، وَكَانَ
ظَلَمَ النَّفْسِ يَشْمَلُ كُلَّ ذَنْبٍ صَغِيرٍ أَوْ كَبِيرٍ مِمَّا يَخْتَصُّ بِالْإِنْسَانِ،
وَلَا يَتَعَدَّى إِلَى الْآخَرِ؛ دَلَّ عَمُومُ الشَّرْطِ عَلَى أَنَّ التَّوْبَةَ مَقْبُولَةٌ عَنْ
جَمِيعِ الذُّنُوبِ سِوَاءِ كَانَتْ كُفْرًا أَمْ قَتْلًا، أَمْ غَصْبًا لِلْأَمْوَالِ؛ لِأَنَّ
قَوْلَهُ: ﴿وَمَنْ يَعْمَلْ سُوءًا أَوْ يَظْلِمْ نَفْسَهُ﴾ اسْتَعْرَقَ جَمِيعَ الذُّنُوبِ
وَالْمَعَاصِي، وَيَحْتَمِلُ أَنْ يَكُونَ مَعْنَى السُّوءِ: كُلُّ مَعْصِيَةٍ تَسُوءُ
صَاحِبَهَا وَغَيْرَهَا؛ لِأَنَّ السَّيِّئَةَ تَسُوءُ صَاحِبَهَا أَيْضًا بِالْهَمِّ وَالْغَمِّ حَالًا
أَوْ مَالًا، وَيَكُونُ مَعْنَى ﴿يَظْلِمُ نَفْسَهُ﴾ فَعَلَ الْمَعْصِيَةَ الَّتِي يَقْتَصِرُ
ضَرَرُهَا عَلَى النَّفْسِ، فَيَكُونُ الْعَطْفُ بِ﴿أَوْ﴾ مِنْ عَطْفِ الْخَاصِّ عَلَى
الْعَامِّ؛ لِإِفْزَادِ الْمُبَالَغَةِ وَالْإِهْتِمَامِ بِأَثَرِ الذَّنْبِ عَلَى النَّفْسِ؛ لِأَنَّهُ مَنْشَأُ
كُلِّ سُوءٍ وَضَرَرٍ⁽¹⁾، وَذَهَبَ بَعْضُ الْمَفْسِّرِينَ إِلَى أَنَّ السُّوءَ هُوَ كُلُّ ذَنْبٍ
دُونَ الشَّرِّكَ، وَظَلَمَ النَّفْسِ يَكُونُ بِالشَّرِّكَ بِاللَّهِ تَعَالَى، أَوْ أَنْ يَكُونَ

حصول مغفرة
الله ورحمته
في وقت وقوع
الاستغفار

التوبة مقبولة
عن جميع
الذنوب سواء
كانت كفرًا أم
قتلًا، أم غصبًا
للأموال

(1) الزمخشري، الكشاف: 1/563، والرازي، مفاتيح الغيب: 11/215، وابن عاشور، التحرير والتنوير: 5/196.

السُّوءُ لِلصَّغَائِرِ، وظَلَمَ النَّفْسَ لِلْكِبَائِرِ، وبالجملةِ فهما متغايرانِ بسببِ العطفِ (1).

مناسبة إثثار لفظ السُّوء في الآية:

وإنما خصَّ ما يتعدَّى إلى الآخر باسم السُّوء - سواءً أكان السُّوء بمعنى: كلُّ قبيحٍ من المعاصي التي تتعدَّى إلى الآخر أم التي تكون للنفس وللآخر - لأنَّ السُّوءَ يكونُ في الأكثرِ إيصالاً للضررِ إلى الآخر، والضررُ سوءٌ حاضرٌ، ويشيرُ التَّعبيرُ بالسُّوءِ إلى أنَّه يورثُ الغمَّ والحزنَ للآخر، فأما الذَّنْبُ الَّذِي يَخْصُ الإنسانَ؛ فذلك في الأكثرِ لا يكونُ ضرراً حاضراً؛ لأنَّ الإنسانَ لا يوصلُ الضررَ إلى نفسه (2).

نكتة التعبير بقوله: ﴿يَظْلِمُ نَفْسَهُ﴾:

للاشعار بأنَّ الإنسانَ إنَّ عملَ معصيةٍ؛ فإنَّه وضعَ نفسه في غيرَ موضعِها، وانتقصَ حقَّها، فظلمَها بالمعصية، وأنَّ العدلَ مع النَّفسِ: في طاعةِ الله، وظلمَ النَّفسِ: في معصيةِ الله.

مناسبة تقديم ﴿يَعْمَلُ سُوءًا﴾ على ﴿يَظْلِمُ نَفْسَهُ﴾:

قدَّم ما يكونُ ضرره على الآخر على ما يكونُ مختصاً بالنفسِ؛ لأنَّ الإضرارَ بالآخر أقبحُ وأشدُّ.

مناسبة العطف في جملة الشرط:

لما كانَ العطفُ بـ﴿ثُمَّ﴾ على معنى التشريكِ بين المعطوفِ والمعطوفِ عليه بمعنى: اجتماعِهما؛ كانَ قوله تعالى: ﴿وَمَنْ يَعْمَلْ سُوءًا أَوْ يَظْلِمِ نَفْسَهُ ثُمَّ يَسْتَغْفِرِ اللَّهَ﴾ دالًّا على أنَّ الجزاء لا يتحقَّقُ من دونِ استغفارٍ صادقٍ.

عملُ السُّوءِ
يورثُ الغمَّ
والغَمَّ للآخر

مَنْ عَمِلَ
معصيةً؛
انتقصَ من حقِّ
نفسِهِ، وظلمَها
بالمعصيةِ

الإضرارُ بالآخر
أقبحُ وأشدُّ من
الإضرارِ بالنفسِ

الاستغفارُ
الصادقُ سببُ
لمغفرةِ الله
ورحمتهِ

(1) البيضاوي، أنوار التنزيل: 2/96، وأبو حيان، البحر للحيط: 4/59، وأبو السعود، إرشاد العقل السليم: 2/230.

(2) الرازي، مفاتيح الغيب: 11/215، والقونوي، حاشية على تفسير البيضاوي: 7/292.

دلالة حرف العطف «ثم»:

رفعة مقام
الاستغفار وعلو
مكانته عند الله

أفادت (ثم) هنا معنى: التراخي في الرتبة والمكانة، للإشعار برفعة مقام الاستغفار وعلو شأنه عند الله تعالى.

بلادة الاستعارة في قوله تعالى: ﴿يَجِدِ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا﴾:

الله أكرم من أن
يرد توبة عبده؛
إذا لجأ إليه

في قوله تعالى: ﴿يَجِدِ اللَّهُ﴾ استعارة تصريحية تبعية؛ إذ استعار الفعل ﴿يَجِدُ﴾ الذي يكون بمعنى وجدان الشيء على حالة مما يرغب فيه على سبيل الظفر به ومشاهدته، وبيانه أن الله تعالى لما أعد الغفران والرحمة للمستغفرين التائبين؛ كانوا كالواجدين لمطلوب عظيم قد ظفروا به، وتحققوا من الحصول عليه، وكأن المَغْفِرَةَ وَالرَّحْمَةَ مُعْدَانٍ لِطَالِبِيهِمَا، مُهَيَّانَ لَهُ، مَتَى طَلَبَهُمَا؛ وَجَدَهُمَا بِتَحْقِيقِ الاستغفار، وكأن التوبة ورود على رحمة الله وقرب من الله، وإذا وجدتهما؛ سيظفر بما يحصل عليه، فأطلق الوجدان على تحقيق المغفرة والرحمة على وجه الاستعارة، ومن مناسبات الاستعارة بـ﴿يَجِدُ﴾: الإشعار بمشاهدة التائب لآثار المغفرة والرحمة مثل: كراهة الذنب والرغبة في الأعمال الصالحة؛ لتكون مشاهدة هذه الآثار نعمة زائدة على نعمة المغفرة والرحمة، ومن فوائد هذا: تحقيق مغفرة الله ورحمته للمستغفر وتأكيد حصولهما، بطريق الإثبات بالدليل، وهذه الآية فيها لطف عظيم ووعد كريم للعصاة؛ إِذَا اسْتَغْفَرُوا اللَّهَ⁽¹⁾.

من لطائف الحذف في قوله: ﴿يَجِدِ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا﴾:

تعميم المغفرة
والرحمة لكل
طالب لهما
ودوامهما

لما قال الله تعالى في جملة الجزاء: ﴿يَجِدِ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا﴾؛ كان المعنى: يجد الله غفوراً رحيماً له، فحذف قيد (له)؛ لدلالة الكلام عليه، فإنه لا معنى للترغيب في الاستغفار إلا إذا كان

(1) ابن عطية، للحرر الوجيز: 2/111، وأبو حنبل، البحر الحيط: 4/59، وأبو السعود، إرشاد العقل السليم: 2/230، ورضا، تفسير النار: 5/326، وابن عاشور، التحرير والتنوير: 5/196.

المراد ذلك، وأيضاً لإفادة العموم وثبوت الوصفين ودوامهما بما دل عليه الإطلاق⁽¹⁾.

سر التعبير بقوله: ﴿عَفُورًا رَحِيمًا﴾:

ورد الوصفان على صيغة المبالغة بمعنى: كثير الغفران وكثير الرحمة، وذلك كناية عن استغراق الوصفين لكل مستغفر تائب وعن تعجيلهما وظهور آثارهما، كما يدل عليه السياق، فيصير المعنى: يجد الله غافراً له راحماً له؛ لأنه عام المغفرة والرحمة، فلا يخرج منها أحد استغفره، وتاب إليه، ولا يتخلف عنه شمول مغفرته ورحمته زمناً، فكانت صيغة ﴿عَفُورًا رَحِيمًا﴾ مع الفعل ﴿يَجِدُ﴾ دالة على القبول من كل تائب بفضل الله.

قبول التوبة من كل تائب بفضل الله وإنعامه

سر التعبير بـ ﴿يَعْمَلُ﴾ دون (يفعل):

عبر بـ ﴿يَعْمَلُ﴾ دون (يفعل)؛ للإشارة إلى كمال مغفرته وعفوه، فالعمل: يكون بقصد غالباً، والفعل: يكون بغير قصد، فإذا كانت المغفرة تأتي لمن عمل السوء بقصد، واستغفر؛ فغفر له، فكيف بمن وقع منه الذنب من غير قصد، فالمغفرة به الصق.

المغفرة لمن عمل الذنب من غير قصد الصق ممن عمله بقصد

سر تتابع الفعل المضارع في قوله: ﴿يَعْمَلُ﴾ ﴿يَسْتَغْفِرُ﴾ ﴿يَجِدُ﴾:

عبر بالمضارع في قوله: ﴿وَمَنْ يَعْمَلْ سُوءًا﴾؛ للإشعار باستمرار الاستغفار وتجديده حالاً فحالاً، كلما عمل سوءاً، أو ظلم نفسه، واستمرار مغفرة الله له ورحمته به.

بلغة مجيء الكلام على خلاف مقتضى الظاهر:

ذكر الاسم الجليل، وأظهره في مقام الإضمار في قوله: ﴿يَجِدُ﴾ الله عَفُورًا رَحِيمًا، فجاء الكلام على خلاف مقتضى الظاهر، إذ لم يأت بالضمير مع قرب ذكر الاسم الجليل، فلم يقل: (يَجِدْه

المغفرة والرحمة وصفان لا يشاركن فيهما غيره سبحانه

(1) الرازي، مفاتيح الغيب: 11/215.

غَفُورًا رَحِيمًا)، وفائدة ذكر الاسم الجليل: التَّريُّةُ بالمهابةِ لِنُفُوسِ السَّامِعِينَ، والتَّلَذُّذُ بذكرهِ سِجَانِهِ؛ لِمُنَاسِبَةِ مَقَامِ الْمَغْفِرَةِ وَالرَّحْمَةِ بَعْدَ الْاِسْتِغْفَارِ، وَأَيْضًا لِمَا كَانَ الْاِسْمُ الْجَلِيلُ ﴿اللَّهُ﴾ مَخْتَصًّا بِهِ تَعَالَى؛ أَذْنٌ بِأَنَّ الْمَغْفِرَةَ وَالرَّحْمَةَ وَصْفَانِ لَا يَشَارِكُهُ فِيهِمَا غَيْرُهُ سِجَانَهُ.

عنوان الكتاب:

موسوعة التفسير البلاغي، المجلد السابع، سورة النساء من الآية 24 إلى الآية 114
مجمع القرآن الكريم بالشارقة، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة

*

التنفيذ والنشر: منشورات القاسمي، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة

سنة الطبع: 1444هـ - 2023م

© حقوق الطبع والنشر محفوظة لمنشورات القاسمي

الطبعة الأولى: 2023م

*

الفهرسة الوصفية أثناء النشر:

مكتبة الشارقة العامة، هيئة الشارقة للكتاب، الشارقة، الإمارات العربية المتحدة

227.366

م. ق. ت

التفسير البلاغي للقرآن: سورة النساء من الآية 24 إلى الآية 114 [إشراف مجمع القرآن الكريم، قسم

الدراسات والبحوث؛ المدير العلمي امحمد صافي المستغانمي].-

الشارقة، الإمارات العربية المتحدة: منشورات القاسمي، 2023.

مج. 7، 804 صفحة؛ 24x17 سم.

ردمك: 978-9948-798-59-0

يشتمل على ارجاعات ببليوجرافية.

مج. 7: سورة النساء من الآية 24 إلى الآية 114.

1-القرآن - تفاسير نحوية 2-القرآن، بديع 3-القرآن، بلاغة 4-القرآن - سور وآيات 5-القرآن-

ألفاظ أ-العنوان ب- مجمع القرآن الكريم (الشارقة، الإمارات العربية المتحدة).

قسم الدراسات والبحوث ج- المستغانمي، امحمد صافي

التقييم الدولي: 978-9948-798-59-0

*

إذن طباعة رقم: MC-03-01-5066600 بتاريخ 2023/03/16م،

مكتب تنظيم الإعلام، وزارة الثقافة والشباب، الإمارات العربية المتحدة

*

الفئة العمرية: E

«تم تصنيف وتحديد الفئة العمرية التي تلائم محتوى الكتب وفقاً لنظام التصنيف العمري

الصادر عن المجلس الوطني للإعلام»

*

الطباعة: AL Bony Printing Press - Sharjah, UAE

الإخراج الفني: عاصم محمد زكي «النجار»